أَلخِطَـــابُ القُرآنِيُّ وَرَكائِزُهُ الأُسْلُوبِيَّةُ

(خِطابُ المَرْأةِ أُنمُوذَجاً)

كواكب صالح مهدي السويج

جامعة البصرة – كلية الآداب – قسم اللغة العربية

فحوى البحث

تحاول السيدة الباحثة، التركيز على الخطاب القرآني بدراسته دراسة اسلوبية جامعة. وقد تناولت الخطاب القرآني الخاص بالمرأة انموذجاً للبحث.

تناول البحث بدءاً مفهوم الخطاب عند القدماء والمحدثين، مع بيان الإشكالية التي احيط بها هذا المفهوم عند المحدثين.

ثم تحدثت السيدة الباحثة عن مستويات الخطاب القرآني الخاص بالمرأة، ومنها الخطاب المباشر، والخطاب الخفي (غير المباشر)، واللذان نجد انهما يأتيان بالتوازي مع خطاب الرجل واثبت البحث ان اساليب القرآن الكريم تعددت في مخاطبة المرأة، فهناك الاسلوب المباشر والاسلوب القصصي والوصايا والوصف، والحوار والجدل، وغير ذلك، بالاعتماد على الآيات القرآنية التي تخص هذا المجال.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الميامين.

كل كلام يُستهلَكُ بعد قراءة او بضع قراءات، فينقطع عطاؤه حين تنضب دلالته، وتجف ينابيعه، فيصير شجرة يابسة لا تؤتي ثمرها، الا القرآن الكريم فهو الشجرة التي تؤتي ثمرها كل حين بإذن ربها. وقد تفنن الدارسون في تناول النص الكريم، وكلما اتسعت دائرة المعارف الانسانية، انتُهِجت طرق جديدة للقراءة والتدبر، والقرآن الكريم وبرغم تكرار القراءة، فهو عطاء رباني لا ينضب معينه ولا يدرك كنهه.

وكون الخطاب القرآني نزل بلغة العرب كان لزماً دراسته بدقة في التركيز على الجانب اللغوي، والدراسة الجامعة لكل مستويات اللغة هي الدراسة الأسلوبية التي تنظر اليه على وفق المستويات جميها، الصوتية والصرفية والبنائية والدلالية، لذا حاولت في بحثي هذا التركيز على الخطاب القرآني بدراسته دراسة أسلوبية جامعة، وتناولت الخطاب الخاص بالمرأة أنموذجاً للبحث.

في البدء تناولت في هذا البحث مفهوم الخطاب عند القدماء والمحدثين، وبينت الإشكالية التي أحيط بها هذا المفهوم عند المحدثين.

وبعد هذا تحدثت عن مستويات الخطاب القرآني الخاص بالمرأة. ومنها الخطاب المباشر، والخطاب الخفي (غير المباشر)، وهذان النمطان يدلان على أن خطاب المرأة فيهما يأتي متوازياً ومنسجماً مع خطاب الرجل. والى جانب هذا هناك خطاب الذات النسوية وهو خالص للمرأة دون مشاركة الرجل معها، وقد تنوع هذا الخطاب بدوره، فكان هناك الخطاب الذي جاء مُصَدَّراً بفعل القول ومشتقاته، والخطاب الإبلاغي (التشريعي)، وفي ضوء ذلك تعددت اساليب القرآن الكريم في مخاطبة المرأة، فهناك الأسلوب المباشر والاسلوب القصصي، والخطاب في سياق الوصايا، وأسلوب الوصف، والخطاب الذي

سياق الحوار، والجدل، وفي سياق المثل والتساؤل، مستشهدين لكل هذه الأساليب بشواهد قرآنية تخص المرأة وتبين الأسلوب الذي خوطبت به في القرآن الكريم.

المحور الأول:

الخطاب بين المفهوم والإشكالية

أ. مفهوم الخطاب: الأصول والمقاربات:

ارتبط الخطاب في حيثياته التداولية الأولى بالتبادل الكلامي القائم على المشافهة والتخاطب المباشر (الأخذ والرد) بالاعتماد على المبدأ التفاعلي والإقناعي والحجاجي بين أطراف الخطاب، لغرض الإبلاغ والإفهام والتواصل بين المتخاطبين وتوجيههم نحو القصد المطلوب[1]، فعند استقصاء مفهوم الخطاب في مصادر التراث المعجمي اللغوي يلحظ انه عرف بمعنى التخاطب والمخاطبة، حيث نصّ الأزهري عليه بقوله ((الخطاب مراجعة الكلام))[2]، وقال ابن فارس عنه هو ((الكلام بين اثنين، يقال خاطبه، يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك، والخطب: الأمر يقع، وإنّما سميّ بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة))[3] واتفق معهما ابن منظور[4] والزبيدي[5].

وعند استعراض بعض الآيات القرآنية الحاملة لهذا اللفظ بصيغه المختلفة يتوضح لنا المعنى، ففي الآية المباركة ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣]، يظهر من الصيغة المستعملة على وزن فاعل دلالة التفاعل بين الطرفين، المرسِل والمتلقي، وردود الفعل: من أنّ إرادة السلام هي عند عباد الرحمن، وجاءت على صيغة فعل مضارع كما في قوله عزّ من قائل: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ...﴾ [سورة هود: ٣٧] أي ((لا تتكلم عند الحضور والتوجه كما

(١) ينظر: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د.خليفة الميساوي: ١٧٩، وتأسيس اللسان في خطاب الراوي –الرائي –النبوة، د. بيان بكري: ٩.

(٢) تهذيب اللغة: ٧/ ٢٤٧.

(٣) مقاييس اللغة: ٢/ ١٩٨.

(٤) لسان العرب: ١/ ٣٦١.

(٥) تاج العروس: ١/ ٤٧.

يرجع إلى طلب خير ورحمة الظالمين))[٦] فهناك مرسل و مستقبل وهناك ظروف محيطة.

أما آية ﴿ ...وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [سورة ص: ٢٠] ففصل الخطاب هو ((الفقه في القضاء))[٧] والمراد هنا ((أعطينا داود المعارف والحقائق وقدرة المخاطبة المميزة، فهو على معرفة بالحِكم والمعارف الإلهية باطناً وعلى تكلّم، حقّ مستدلّ ظاهراً))[٨]، فالخطاب هنا مصدر وفعله خاطبَ وهو فعل متعدٍ[٩].

أما ((الخطب في الأصل مصدر بمعنى الحضور والتكلم، ثم غلب استعماله بمعنى جريان حال شخصٍ مع أفراد آخرين، فيستعمل في مورد السؤال عن ذلك الجريان))[١٠] وهذا ما توضحه الآيات المباركة ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ... ﴾ [سورة يوسف: ٥١] و ﴿ ... قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [سورة القصص: ٢٣]، أما ما جاء في مسألة الخِطْبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ... ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٥] فهي حالة من الحضور والكلام في طلب الزواج، فهي إذاً محاورة ضمن سياق مخصوص، والفعل هنا لازم من خطبَ يخطبُ بمعنى الأمر والشأن العظيم[١١]، وربما لا تتمكن اللغة في بعض السياقات أن تظهر المراد في الخطاب بمعزلٍ عن الأنظمة العلاماتية الأخرى[١٢] لأنها قائمة على الحوار والإقناع فلا بدَ من استعمال الإشارات والحركات.

ويمكن الخلوص إلى ((أن الأصل في هذه المادة هو الحضور والتكلم في قبال فرد أو أفراد فيحتاج إلى قيدين وهذا المعنى تختلف خصوصيته باختلاف الصيغ... وأما المعاني المختلفة المذكورة

(٦) التحقيق في كلمات القرآن: ٣/ ٩٢.
(٧) تهذيب اللغة: ٧/ ٢٤٨.
(٨) التحقيق في كلمات القرآن: ٣/ ٩٣.
(٩) ينظر: تأسيس اللسان: ٩.
(١٠) التحقيق في كلمات القرآن: ٣/ ٩٣.
(١١) ينظر: تأسيس اللسان: ٩.
(١٢) ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص في تحليل الخطاب: ١٤ -١٥.

في اللغات والتفاسير. فالكلام بين المتكلم والسامع، والمراجعة من الكلام والشأن والأمر العظيم والسبب والحالة المخصوصة وغيرها، كلها من باب التقريب بمناسبة الموارد))[١٣] ورأى بعضهم أن هذه الاشتقاقات (الخطاب- التخاطب -الخطب -الخطبة) تنصبُّ في معنى محوري جامع هو ((لفت وجذب بلطف مع نوع من المغالبة... فكل طرف خطابي يريد أن يلفت أو يجذب الطرف الآخر إلى وجهة نظره))[١٤].

أما مفهوم الخطاب في الدراسات اللغوية الحديثة فلم يبتعد كثيراً عن مفهومه عند القدماء ((فهو عملية تلفظية حيوية في الزمان والمكان يديرها شخصان أو أشخاص بالكلام وبغير الكلام))[١٥] غير أنه أخذ مدىً أوسع من ذلك، فصار مرادفاً لمفهوم النص، وتارة أُخرى قريناً للجملة، وثالثة نظيراً للكلام وغيره ((حتى حمل اللغة بمفهومها الواسع أو الكلام برمته أو النص أو البنية وما شاكل ذلك))[١٦]. حتى أصبح الخطاب ((تواصلاً وترابطاً في نسق يسيطر عليه نسق عقلي أعلى منه))[١٧].

والخطاب -بوصفه منجزاً كلامياً - إنما يتأطر على وفق نوعين من المقومات هما:-

أ. نصية، ومنها المعجم والتركيب وعلامات ربطه، التي تحدد جنس الخطاب ونوعه نحو الخطابات الدينية والأدبية والسياسية والنفسية...

ب. مقومات مقامية، أو كما تسمى ماوراء الخطابية وتضم المقومات الاجتماعية والنفسية والسياقية[١٨].

وتقتضي العملية الخطابية -عادة- نوعين من العناصر التي تمثل أطراف الخطاب أو أدواته هما: -

(١٣) التحقيق في كلمات القرآن: ٣/ ٩٢.
(١٤) المعنى الإشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل: ٥٨٥- ٥٨٦.
(١٥) المصطلح اللساني: ١٧٨.
(١٦) التنوع في الخطاب القرآني، دراسة أسلوبية، اطروحة دكتوراه، أزهار علي ياسين، جامعة البصرة، س ٢٠٠٠م.
(١٧) تأسيس اللسان: ٢١.
(١٨) ينظر: المصطلح اللساني: ١٨٢.

١. عناصر حية (ذوات)، تتمثل بالطرف الأول: المتكلم أو الباث (المرسل)، التي تقع على عاتقه عملية تركيب عناصر الخطاب اللغوية، أي صياغة المفاهيم والتصورات الذهنية المجردة في أنساق كلامية محسوسة، ومن ثم تصديرها إلى الطرف الثاني المتمثل بـ(المستقبِل) أو المتلقي (سامعاً كان أم قارئاً) الذي يقوم بعملية تفكيك العناصر اللغوية.

٢. عناصر غير حية (تجريدية) وهي القناة التي يتم في ضوئها ارسال مكونات الخطاب واستقباله، فهي الحلقة الواصلة بين طرفي الخطاب (المتكلم والمستقبِل) إذ تقوم بعملية توصيل الرسالة[١٩].

وقد حدد جاكبسون وظائف ستاً للخطاب: -الوظيفة التعبيرية أو الإنفعالية، التي يُعنَى بها المتكلم أو المرسل، والوظيفة الإفهامية التي هي خصيصة للمتلقي أو المرسل إليه، وهنا كالوظيفة المرجعية أو الاجتماعية التي تطرحها سياقات معينة في الخطاب، والوظيفة الانتباهية التواصلية، والوظيفة الإنشائية من الرسالة نفسها والوظيفة السياقية أو ما وراء اللغة[٢٠].

فالخطاب -إذاً -منجز كلامي (لساني) أو إشاري (ايمائي) ويمثل دعوة مفتوحة للفهم والتواصل بين أطراف الخطاب، وهو بهذا يختلف عن التخاطب الذي يمكن رصده بمعنى التحاور أو التحادث بمجاذبة أطراف الحديث والكلام بين طرفين أو أطراف عدة، لذا يستغني بمتلقٍ واحد (مباشر)، أما الخطاب فهو ينعقد على متلقٍ واحد بل هناك متلقٍ أول، ومتلقٍ ثانٍ،... وثالث... وهكذا تتعدد مستويات التلقي، فهنالك متلقٍ لغرض الفهم فهنا ((التلقي يعني القراءة من أجل الفهم،

(١٩) ينظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي: ٥٨، ولسانيات النص-مدخل إلى إنسجام الخطاب -، محمد الخطابي: ٥٩٧ وما بعدها، وبنية الخطاب النقدي (دراسة نقدية) د. حسين خمري: ٩٩.

(٢٠) الأسلوبية والأسلوب: ١٥٤ -١٥٦.

فالفهم ركن من أركان التلقي))[٢١]، وعملية الفهم عادة ((تبدأ بمراد المخاطبِ (المبدع) وتنتهي باللفظ المعبر عن هذا المراد (النص) الذي يستقر عند المخاطب (المتلقي))[٢٢] وبناءاً على ذلك يمكن القول إنَ ((لك لخطاب أو دعوة يتناسب استخدامها مع الظروف المحيطة والمناسبة، وذلك لاختلاف المستويات بين المتلقي وآخر))[٢٣] والفهم قد يكون بمعنى التفسير والتبيين والتوضيح لمعاني أجمل والتراكيب ودلالاتها، ولكنه لا يجدي نفعاً في كل حين، فقد لا ينسجم مع سياق الموقف أو ثقافة المتلقي[٢٤] فلابد من أن يكون هناك فهم آخر ((يُعنَى بكشف تلك العلاقة بين مريد الفهم وقاصده مع المراد تفهيمه أو المقصود، فالفهم عملية إجرائية شاملة أو عملية متحركة ومتطورة تخرج من أفق التفسير اللغوي))[٢٥] للخطاب، من هنا نجد أنَ القرآن الكريم قد أولى عنايته بالمتلقي فكان ((الإعتبار هو إدراك المتلقي وفهمه لمضمون الدعوة القرآنية))[٢٦]، فكان ذلك ((مزية انفرد بها النص القرآني، فكان يسعى دائماً إلى جعل المتلقي في دائرة النص التأثيرية، وهو ما يبرز قيمته في عملية التواصل والإبلاغ))[٢٧]، ولقد عزز هذا عالمية الخطاب القرآني وسرمدية هذا النص الخالد.

ب. إشكالية الخطاب:

يعاني مفهوم الخطاب من غموض في الدلالة، وعدم وضوح معناه بدقة، إذ تتقاطع مقاربات كثيرة لبعض المفاهيم مع مفهومه التي منها النص والجملة واللغة والكلام، وقد أقرَ بعض الدارسين بأنَ الخطاب كان ولا يزال يمثل إشكالية

(٢١) فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة: ١٨.
(٢٢) المصدر نفسه: ١٩.
(٢٣) الخطاب القرآني –دراسة في معالم وإتجاهات النصوص القرآنية، أحمد محمد نمر: ١٤٢.
(٢٤) ينظر: فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة: ١٨.
(٢٥) المصدر نفسه: ١٩ –٢٠.
(٢٦) الخطاب القرآني –دراسة في معالم وإتجاهات النصوص القرآنية: ١٢٤.
(٢٧) فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة: ٢٩.

في نظر اللسانيين[٢٨] فهو لم يحظ بتعريف شاف[٢٩]، وربما تعود هذه الإشكالية لوجود سببين -على الأقل -هما:-

الأول: بسبب طبيعته التداولية لأنه يمثل ((خطابات متعددة حسب الحقول المعرفية اللسانية التي من الممكن أن ينتمي إليه[٣٠].

الثاني: بسبب اختلاف الرؤى عند الدارسين المحدثين، خاصة عند المعنيين بالدراسات اللسانية إذ يوصف الخطاب بانه تصورات حول قضية ما، مستفاداً من النص[٣١] وبهذا يكون الخطاب مجموعة من الجمل التي تتكامل في وحدة لغوية معينة، ضمن ضوابط إنتاجية خاصة[٣٢]، لذا رأى بعض الدارسين أنَ الخطاب مرادف للنص[٣٣] ونص بعضهم ((أنهما مترادفان يتعاقبان))[٣٤]، فكلاهما يتجاوز مفهوم الجملة من حيث البنية والمقصد، ويعتمدان على البنية اللغوية التي تنتج وظائف سياقية تتعلق بعملية الفهم والتأويل، غير أنهما يختلفان بشروط الإنتاج وجنس القول والعناصر السياقية[٣٥].

غير أنَ بعض اللسانيين ذهب إلى شمولية مفهوم الخطاب وإنحسار مفهوم النص أمامه، بناءاً على أنَ النص هو سلسلة لفظية تتكون من عبارة أو عبارات تحكمها قوانين تتعلق بالاتساق الداخلي نحو الصرف والدلالة، أما الخطاب فيوحي بمعنىً أوسع من ذلك، فهو كل إنتاج ترتبط فيه بنيته الداخلية بظروفه المقامية ربط تبعية[٣٦]، ورأي آخر يقول إنَ الخطاب يتناظر مفهومه

(٢٨) ينظر: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم: د. خليفة الميساوي: ١٧٥.
(٢٩) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل: ٤٨٤.
(٣٠) المصطلح اللساني: ١٧٥.
(٣١) ينظر: مقالات في الأسلوبية: ١٨٢.
(٣٢) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية: ٢٢، لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمد خطابي: ٢٧٧.
(٣٣) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب: ٤.
(٣٤) قضايا اللغة العربية: ٤٨٤.
(٣٥) ينظر: المصطلح اللساني: ١٨٣.
(٣٦) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ٤٨٤.

مع اللغة والكلام على نحو عام[٣٧]، وهناك من نقل مفهوم الخطاب إلى آفاق التعددية، فهو مصطلح لساني يتضمن كل إنتاج ذهني من الشعر والنثر، والمنطوق والملفوظ، والفردي والجماعي، والذاتي والمؤسساتي، فهو لا يحيل إلى ذات فردية أو مؤسسة معينة أو فرع معرفي ما[٣٨].

وهناك من فرق بين المفهومين- الخطاب والنص -بشكل جلي بناءً على أنَ النص هو ((يعين بنية الخطاب الداخلية التي تتألف منها المفردات والتراكيب والجمل))[٣٩]، كما ((أن الخطاب منهج في البحث أي مادة مشكلة من عناصر متميزة ومترابطة في إمتداد طولي، لغةً كانت أم شيئاً شبيهاً باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أولية، إنها بنية شاملة تشخص الخطاب في جملته... أو أجزاء كبيرة منه))[٤٠]. وتحليل الخطاب عبارة عن محاولة للتعرف على الرسائل التي يتضمنها النص ويقصد إرسالها إلى المتلقي، وذلك بفك شفرات النص من خلال سياقها التاريخي والاجتماعي واللغوي[٤١]، وبهذا فإنَ الخطاب أكبر من النص، فهو يعتمد على استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاج النص[٤٢] التي يمكن أن تشكل داخل السياق سياقاً آخر له مسرده الخاص من الإشارات وبالفعل يمكن إقحام سياقات جديدة داخل السياقات المركبة.

وهكذا تعددت الدلالات والمفاهيم الخاصة بالخطاب بتعدد مجالات الدارسين وتخصصاتهم مما قد أدى إلى فرض كل معرفي مسلماته وإشكالياته على المفهوم، فبينما يضيفه

(٣٧) ينظر: تأسيس اللسان في خطاب الراوي- الرائي -النبوة: ٧.
(٣٨) ينظر: نظام الخطاب، ميشيل فوكو: ٨.
(٣٩) مقدمة في نظريات الخطاب/ أديان كاونيل: ٣٠.
(٤٠) ينظر: صور من الخطاب الديني المعاصر/ أحمد زايد: ٣١.
(٤١) ينظر الخطاب الإعلامي العربي، المجلة العربية لبحوث الإعلام ع/ ١٩٩٧ م: ٣٩.
(٤٢) ينظر: تحليل الخطاب ج ب براون بول و. ج.

بعضهم ليقتصر على أساليب الكلام والمحادثة، ويوسعه بعضهم ليجعله مرادفاً للنظام الاجتماعي برمته[٤٣] فتحليل الخطاب لا يعتمد على الفهم اللغوي للنصوص وحدها ولا يقف عند حد البنية السطحية إنما يتجاوزه إلى القراءة التأويلية للنصوص واستنطاق مختلف الرموز والإشارات التي يحيل إليها النص وأخذ النظر في زمن النص والسياقات الاجتماعية والتاريخية لإنتاج النص.

ج. علاقة الخطاب بالأسلوبية:

إنَ لكل خطاب أدوات ألسنية أو قولية ترتقي بالمتلقي لفهم النصوص فهماً واقعياً باتباع أسلوب معين، فالأسلوب هو رسالة ألسنية قوامها ((الكشف لنمط التفكير عند صاحبه، وتتطابق في هذا المنظور ماهية الأسلوبية مع نوعية الرسالة اللسانية المبلغة مادةً وشكلاً))[٤٤]، وعلى الرغم من أن لفظ الأسلوب ورد في المعاجم بمعنى الطريق والمذهب إلاَ أنَ معناه مشتق من مادة سلب وجمعها أساليب وهي ((الفنون المتنوعة))[٤٥] و ((أساليب القول: أفانين منه))[٤٦]، وتجدر الإشارة إلى أنه قد ارتبط استعمال القدماء لكلمة الأسلوب بالكلام الصادر عن البشر المعبر عن الشخصية والذي لايمكن مقارنته بالاسلوب القرآني الصادر عن الذات المقدسة، والذي يحمل في طياته أموراً اخرى تعكسها صياغته الفنية، باستخدام اللغة نفسها.

أما الأسلوبية فهي قوام النصوص الإبداعية لأنها تمثل طاقة الشحن في الخطاب ونجاحها في إصابة مكامن الحساسية المتأثرة لدى القارئ (المتقبل)[٤٧] وعليه فقد تحددت الدراسة الأسلوبية في الخطاب بناءً على تناول اللغة في ضوء البعد الدلالي لها، وقُيِّم التركيب في ضوء البعد التعبيري

(٤٣) ينظر: تحليل الخطاب وإشكالية نقل المفاهيم، رؤية مقترحة/ م النهضة ٦ -ع ٤: ٢٠٠ص٣٠.
(٤٤) الأسلوبية والأسلوب: ٢٦٤.
(٤٥) المعجم الوجيز، م (سلب): ٣١٦.
(٤٦) لسان العرب، م (سلب): ٤٧٣.
(٤٧) ينظر: الأسلوب والأسلوبية: ٤١.

لها، وتلمس القيم الجمالية في ضوء البعد التأثيري لها داخل النص[٤٨]. والدراسة الأسلوبية بهذا المفهوم تقدم لنا أدوات في البحث أوسع مما اشتملت عليه أدوات البحث البلاغي، فهي تجمع بين دلالات السياق واللفظ والبنية الصرفية والجملة والآية والفاصلة والتركيب والنظم والنسق الصوتي والألوان والظلال والمشاعر والأفكار والبيئة، مروراً بالعامل النفسي والاجتماعي والثقافي، وإنتهاءً بالوحدة الفنية على مستوى السورة ثم على مستوى القرآن الكريم كله[٤٩] وعلى هذا فهي تحتاج إلى دقة في التناول من أخذ المعنى المعجمي الأول للمفردة ثم النظر إلى مكانها في السياق ودراسة الظروف المحيطة بالنص ومبدعه ومتلقيه. فالأسلوبية ((تصافح الملفوظات الأدبية في حسيتها المباشرة فتكشف في خصوصيتها وبالتالي فرادتها)) [٥٠] لأنها ترتكز على دراسة الخصائص اللغوية التي يتحول بها الخطاب في سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية[٥١]، حتى ((غدت مكوناً فاعلاً في تحليل بنية النص))[٥٢].

وهنا تتجلى العلاقة بين الأسلوبية والخطاب الإبداعي ((الأسلوبية بوصفها منهجاً لبيان فرادة النص، والكشف عن قدرة المبدع على خلق قيم تعبيرية مؤثرة، وبين الخطاب بوصفه مكوناً لسانياً أنتجه التفاعل بين هذه العناصر الثلاث (المتكلم والسامع والقناة) ومفهوماً إتصالياً بين المبدع والمتلقي))[٥٣] حيث أنَه ((لا تقوم قائمة الخطاب أياً كان نوعه، إلَا إذا حقق وصالاً بين إبداع وتلقٍ، وحدث تفاعلي))[٥٤] وهذه هي عناصر الخطاب

(٤٨) ينظر: البلاغة والأسلوبية، أحمد عبد المطلب: ٣١-٣٦٧.
(٤٩) النسق القرآني: ١٩.
(٥٠) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل: ٤٨.
(٥١) ينظر: الأسلوبية والأسلوب: ٣٦.
(٥٢) مستويات السرد الوصفي في القرآن الكريم: ٣٧.
(٥٣) فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة: ٢٧.
(٥٤) منهج الجواب في آليات الخطاب، د. عمار ساسي: ٢٢.

التي تعتمدها الأسلوبية في دراستها الأدبية الحديثة والمعاصرة.

أما في البحث القرآني المبارك فنحن لا ندرس المبدع، كونه الذات المقدسة التي لا تقبل الشك ولا تؤثر فيها الظروف المحيطة، إلَا أننا ندرس المفردة القرآنية التي تترجم حالة الغضب أو الرضا منه عزَ وعلا، وسلوكيات الفرد، فالدراسة مسلطة بصورة خاصة على النص، وهو نص مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلَا أن مستويات التلقي لا شك أنها تختلف باختلاف الأفراد، وما يحملونه من مفاهيم وكيفية الإستيعاب، محاطة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسة التي تضع بصمتها، فالنص القرآني معجز، ثابت الألفاظ، متحرك المعاني يصلح لكل متلقٍ وفي كل زمان ومكان، ويحمل دلالات ذات طاقات تفوق العقل الإنساني وإستيعابه لاسيما الغيبيات.

فالقرآن يتفرد بأساليبه بوصفه الحقيقة الشاملة والمطلقة، الزمانية – المكانية تصف الأشياء وصفاً دقيقاً يتناسب واستيعاب العقل البشري الذي يتعامل بالماديات والمحسوسات أكثر منه بالغيبيات فيقرب له الصورة، إذ إن اللفظ عند المخلوق له معنى إتفاقي إصطلاحي، وفي كلام الخالق له معنىً أصلي هو المعنى الحركي، وهو أصل المعاني جميعها، لا يتغير، لأنه حقيقة الشيء مقابل المعنى الاصطلاحي[٥٥] لذا يتوجب على الدارس ملاحظة تلك الخصوصية والتعامل بخصوص النص الكريم.

فالأسلوبية إذاً قائمة على التحليل للنص تحليلاً فنياً الذي يقوم على استنباط المعاني الموحية والبليغة وظلال المعنى في القيم التعبيرية، واستخراج اللمسات الفنية والأسرار البيانية من كل جزء في النص، تركيبياً وترتيبياً، أصواتاً ومعاني ومباني وظواهر، ففي أسلوب القرآن دلالات وأسرار بيانية تستنبط من مكونات النص. إنَ القرآن

(٥٥) ينظر: النظام القرآني، عالم سبيط النيلي: ١٣.

الكريم نص مقدس انزل بوقت اختاره رب الكون ولا شك في أن الظروف القائمة آنذاك قد خدمت النص وتحليله، وإن كانَ النص القرآني قائماً إلى ما شاء الله وكل يوم يتجدد، فيسمو به الدارسون.

المحور الثاني:-

مستويات الخطاب القرآني الخاص بالمرأة

أ. أنماط الخطاب القرآني الخاص بالمرأة

أولاً: الخطاب العام:

هو الخطاب الذي تذكر فيه المرأة مع الرجل وهذا ما تعكسه آيات كثيرة، ويمكن أن يعرف بأنه خطاب التضمين لأنه يضم مستويات عدة من المخاطبين، كما في الآيات التي تخاطب الإنسان خاصة بـ(يا أيها الإنسان)، أو التي تخاطب الناس عموماً كما في (يا أيها الناس)، أو فئة معينة مثل (يا أيها الذين آمنوا)، ويمكن تقسيم هذا الخطاب على:-

١. خطاب التضمين الجلي: هو الخطاب الذي نتلمس فيه لفظاً يدل على اشتمال المرأة فيه باسلوب التصريح كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء: ١]، فقد جعل الرجال في مقابل النساء، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣] ((ولا يشك عارفٌ باللغة أنَ الأمر ببر الوالدين يعني الأب والأم))[٥٦] غير أن الأم هنا مقدمة على الأب، يشعرنا بذلك لفظ الوالدين الذي يدل في أصله اللغوي على الولادة، ومنه الوالدة التي ولدت[٥٧]، وإنما يسند الفعل إلى الأم أكثر لأنها موضع الولادة أصلاً، فمنها مأخذ الولد[٥٨]، كما يأتي لفظ الأنثى مقابلاً للذكر في قوله

(٥٦) المرأة والرجل بين المقام والمهام: ٢٧.
(٥٧) ينظر: لسان العرب.
(٥٨) ينظر: المعجم الإشتقاقي المؤصل للألفاظ القرآن الكريم: ٢٠٢١.

تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ... ﴾ [سورة النساء: ١١]، فقد عرض القرآن الكريم لأمر الوصية بالإجمال فقد بدأ بـ(أولادكم) ثم حدد القسمة لكلا الجنسين وفصل في ذلك.

٢. خطاب التضمين الخفي: وفيه لا يوجد أي لفظ صريح يدل على اشتمال الخطاب على العنصر الأنثوي، ولكن هناك بعض الإشارات أو الدلائل التي تشير إلى المرأة بأسلوب التلميح كما في مفردة (أهل)و (آل) التي تشير إلى المرأة بوصفها عضواً من أعضاء الآسرة، فأهل الرجل زوجه ومنه التأهل أي التزوج، وأهله أيضاً أخص الناس به ممن يجمعه وإياهم نسب، وعبر به أيضاً عن امرأته[٥٩]، أما (آل) فيطلق على أهل الشخص ممن هم من أهل بيته أو من قرابته ويطلق كذلك على الأتباع[٦٠] كما في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [سورة النمل: ٧] وقوله -تعالى- ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ... ﴾ [سورة الفتح: ١١] وقوله-سبحانه -﴿ ...مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ ... ﴾ [سورة المائدة: ٨٩]، أو أن تكون المرأة جزءاً من العشيرة أو المجتمع[٦١] ومصداقها في الآيات المباركة ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا . . . ﴾ [سورة النساء: ٧٥] ولا شك أن القرية فيها الذكر والأنثى. وفي الآية ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤] فلا شك أن الرسول الكريم قد بعث رحمة للعالمين ذكراناً وإناثاً.

ثانياً: الخطاب الخاص بالمرأة:

ويقصد به الخطاب الذي تفردت به المرأة، قولا او فعلا او حكما ويشمل:

(٥٩) ينظر: مقاييس اللغة: ٧٨، والمفردات في غريب القرآن: ٣٩.

(٦٠) ينظر: المصباح المنير في غريب شرح الكبير، الفيومي: ٣٨.

(٦١) المرأة والرجل بين المقام والمهام: ٢٩.

أ. خطاب الذات النسوية:

وهو الخطاب الموجه من جهة عليا الى امرأة بذاتها ومجموعة نساء على التعيين، ويأتي باسم العلم أو الصفة، كما في خطاب الله عز وعلا لنساء النبي: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ . . . ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢] فقد خص نساء النبي من دون نساء الأمة، والخطاب الملائكي للسيدة العذراء باسمها الصريح ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٥]، وخطاب أم موسى لابنتها ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة القصص: ١١] فلم يرد الإسم ولكن استعمل مفردة أخت التي لها ميزة كبيرة في هذا المقام، وكذلك قوله تعالى واصفاً زوج أبي لهب ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [سورة المسد: ٤]، وقد شكلت هذه الخطابات عنواناً لهوية المخاطب وتحديد شخصيته.

الخطاب المنقول عنها:

وهو الخطاب الذي تتوجه به المرأة إلى غيرها فينقله القرآن، ويكون مصدراً بمفردة القول باشتقاقاتها المختلفة كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ... ﴾ [سورة يوسف: ٣٠] وفي قوله تعالى ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ ... ﴾ [سورة التحريم: ٣] وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ... ﴾ [سورة التحريم: ١١] فهي مخاطبة لجهات مختلفة، فهي تارة تخاطب ربها، واخرى تخاطب الملائكة، وهناك من تخاطب نبيها، ومن تخاطب مثيلها.

الخطاب الإبلاغي

وهذا الخطاب -عادة -مايكون خطاباً تشريعياً، يقوم بنقله الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بوصفه المتلقي الأول، الذي يحمل في طياته أمراً مباشراً للمرأة وعليها

تطبيقه، ومعنى الإبلاغ هو التوصيل والإيصال وهو((أن يُفهِم الباثُّ المتلقيَ أنَه يوفر له معرفة وأنَه يريد أن يبلغه شيئاً ما))[٦٢] بشرط تضمنه القصد لـ((أن الخطاب لا يستكمل شكله الإبلاغي من دون احتوائه على معيار القصد الذي يهب للخطاب قيمته الحقيقيه وثراءه الدلالي))[٦٣] ويتنوع هذا الخطاب باختلاف جهات الخطاب نفسه، فهناك خطاب موجه للنبيﷺ كما في آية الحجاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ... ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩]، وأحياناً يكون موجهاً لفئة من المؤمنين خاصة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ ... ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠]، وهناك خطاب موجه للرسول الأكرم يبين كيفية التعامل مع المؤمنات في حال المبايعة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا... ﴾ [سورة الممتحنة: ١٢]، وهناك نوع من الخطاب لا يبدأ بخطاب النبي (صلوات الله وسلامه عليه)، ولا المؤمنين ولا النساء مباشرة أيضاً إلا أنه يخص المرأة، لأن مناهج التبليغ متعددة في القرآن الكريم مقصدها شدّ المتلقي وإقناعه إذ إنَ ((الإبلاغ بمثابة القوة الضاغطة التي يسلطها الباثُّ على المتلقي))[٦٤]، والقرآن هو خطاب مباشر بين الذات المقدسة والرسول الأكرم (المتلقي الأول)، وبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه والناس (المتلقي الثاني)، فهو كله قائم على مبدأ الإيصال والتبليغ، ويمكن أن يدخل ضمن هذا النطاق الجمل الخبرية التي تحمل أحكاماً خاصة، بحسب سياقها

(٦٢) التحليل اللغوي للنص: ١٣٨.
(٦٣) مستويات الخطاب الإبلاغي في كتاب المحصول في علم اصول الفقه الرازي(رسالة ماجستير)، فراس حسن علي الكناني: ٦.
(٦٤) مستويات الخطاب الإبلاغي في كتاب المحصول في علم اصول الفقه للرازي، فراس الكناني (رسالة ماجستير): ٨.

الواردة فيه، كما في الآيات المباركة ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ... ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا... ﴾ [سورة النور: ٦٠]، وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً... ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٠]، فهذه أحكام أبلغها الرسول الأكرمﷺ ضمن سور قرآنية شاملة قد احتوت بعضاً من المناهج السلوكية التي تنظم حياة الإنسان بصورة عامة، وحياة المرأة بصورة خاصة، لضمان سير الحياة نحو التكامل. ألا أنه من الضروري أن نميز بين التعامل معه بوصفه النص لغويا، نزل بلغة العرب، أو التعامل معه خطاباً، فدراسة اللغة يستلزم دراسة الوحدات الأساسية المتماسكة فيما بينها، أما دراسة الخطاب وتحليله فهي دراسة العملية المعقدة من التفاعل اللغوي، بين المرسِل والمرسل إليه[٦٥]، ((لذا فالمعول عليه في دراسة الأسلوب الصحيح هو استنتاج الخفي من الواضح لااستنتاج الخفي من الأخفى))[٦٦]، لأن ذلك يؤدي إلى الميل الذي قد يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه، وقد وقع الكثيرون في مثل هذه المآزق، ولاسيما من حاول، إمالة الدين نحو مذهبه وتطلعاته أو الانحياز الشديد اليه.

وقد تناول الباحثون دراسة القرآن من جوانب عدة، لغوية وصرفية ونحوية ودلالية وجاءت الأسلوبية لتجمع مستويات اللغة كلها بدراسة شاملة، وتحليل الخطاب القرآني تحليلاً دقيقاً وفقاً للسياقات وإفادة من الإشارات والرموز، إذ ربما يتحول الأسلوب إلى مقاصد نحو جهة معينة أخرى لا يفهمها القارئ إلا بتسليط الضوء عليها من المختص.

ويحفل القرآن الكريم بشتى أنواع الأساليب اللغوية التي اعتادها العرب و لها جذور في لغتهم، وقد وظفها القرآن توظيفاً جميلاً وها هو يطرح

(٦٥) ينظر – languge crli cism / R. faw .er، oxfard u. 1995 p. p 80. go

(٦٦) رسالة في التحسين والتقبيح/ الشيخ السبحاني ص: ٧٢.

مسائل المرأة من خلال نماذج كثيرة منها ما هو صريح، ومنها ما هو من باب الإشارة والتلميح، و يمثل كل أنموذج تطبيقاً لأهم قضايا الإنسان من خلال شخصية المرأة، ورؤية الإسلام لها، التي لن تتغير مهما تداخلت الثقافات، ومهما واجهت من معوقات؛ لأنها ثوابت لا تقبل التغيير.

ويمكن سرد بعض أساليب الخطاب القرآني الخاص بالمرأة على النحو الآتي:

أساليب الخطاب القرآني

١. الخطاب بأسلوب مباشر:

١. وهو من أوضح الأساليب في الخطاب القرآني كونه يطرح الفكرة بشكل مباشر كما في آيات الأحكام التي تتضمن النهي، أو الأمر، أو الفرض، أو توضيح مسألة مهمة في الخلق والتكوين كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء: ١]، فهذا خطاب مباشر وبصيغة النداء العام ثم الأمر بالتقوى.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٣]، خطاب مباشر لشخص أو لذات بعينها مع أمر بالقيام ببعض الأفعال.

٢. والخطاب لفئة معينة أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٠-٣١] وقوله -تعالى -﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [سورة الاحزاب: ٣٠]، فالخطاب مباشر إلى نساء رسول الله ﷺ وفيه نهي وإخبار.

٢. الخطاب بأسلوب الخبر:

وهو من الأساليب المهمة في خطاب المرأة في القرآن الكريم إذ يخرج إلى صيغ أخرى مهمة وحساسة، ومنها

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣] وقوله -تعالى- ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ... ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨] وقوله-تعالى -﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ... ﴾ [سورة النور: ٦٠]، فهي لاشك تحمل في طياتها بعض الأحكام الخاصة بالمقام.

أساليب الخطاب القرآني الخاص بالمرأة

١. الخطاب بالأسلوب القصصي:

وهذا الأسلوب مما تستأنس له النفوس، ويمكن الوصول منه إلى الهدف المنشود بسرعة، إذ يستنتج الإنسان من القصة واحداثها، المفاهيم والمقاصد المطلوبة، وكونها مرت، فهو يستطيع حساب الأمور على أفضل وجه، لذا نجد القرآن يحث دائماً على أخذ العبرة والموعظة من القصة منها تجربة إنسانية واجتماعية ضمن أحداث وسنن وقوانين، وقد كان للمرأة الحظ الأوفر في القصص القرآني فمنها قصة العابدة المصطفاة ﴿ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٢٣] وقصة ملكة سبأ ﴿ ... وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ... ﴾ [سورة النمل: ٤٤].

٢. الخطاب في سياق المثل:

وفيه يضرب مثل كوسيط يدل على الفكرة والمعنى من خلال الربط بالواقع كما في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم: ١٠]، ففيه تحذير بعدم الإعتماد على الصلات الدنيوية، لأنها لا تؤمن من العذاب. وفي الآية التي تليها يقول عز من قائل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة التحريم: ١١]، فلا يستهان بالمرأة لأنها مثلاً للمؤمنين ذكوراً وأناثاً بالقدوة الحسنة هي وأختها ﴿ ... وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [سورة التحريم: ١٢]، كونهن وصلن إلى

أسمى معاني العشق الإلهي والتفاني في سبيل الحق تبارك وتعالى.

٣. الخطاب بأسلوب التساؤل:

وهي آيات يوظف فيها سؤال ليجيب عنه من أجل إيصال حكم للمتلقي، ضمن القضايا المتعلقة بمحيطه الاجتماعي كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ .. ﴾ [سورة النساء: ١٢٧] و﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ... ﴾ [سورة النساء: ١٧٦] فيه طلب لأحكام واضحة وأجيب عليها بكل وضوح.

٤. الخطاب في سياق الوصايا:

هذه الوصايا أما أن تكون خاصة أو عامة، فالخاصة منها وصية الله للإنسان بوالديه إذ يقول العزيز الحكيم: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة لقمان: ١٤]، وفيه أثر عاطفي واضح في نفس المتلقي.

وقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ... ﴾ [سورة النساء: ١١]، وفيه ضمان للحقوق لكلا الجنسين حال تطبيق وصايا الرب.

٥. الخطاب في سياق الدعاء:

أستعمل القرآن هذا الأسلوب لإيصال القيم والأخلاق الحميدة والمفاهيم الإيمانية، ذلك لأن الدعاء عبادة وتربية للنفوس وثقافة إنسانية. كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [سورة إبراهيم: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [سورة الفرقان: ٧٤].

٦. الخطاب بإسلوب الوصف:

من الأساليب المهمة التي تداعب المشاعر الإنسانية، وتثير هممها ذلك بوصف حال لإيضاح فكرة معينة ومفهوم خاص، ومنها وصفه سبحانه وتعالى لعباده الذين نسبهم إلى نفسه، فأكرمهم بذلك إذ قال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [سورة الفرقان: ٦٣]، فقد حدد الصورة بكمالها وتمامها بأسلوب فني رائع ومشوق من أجل لفت النظر لما يكون عليه عباد الرحمن من الرحمة والهيبة والوقار والسكينة. وعكسه وصف المنافقين إذ يقول عز من قائل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت: ١٠].

فنلحظ أن هناك نقلاً ناجحاً للمعلومات من خلال اللغة بتوظيفها لأساليب لغوية مؤثرة وهادفة؛ ليستطيع المتلقي أن يأخذ المعلومات الصحيحة والتوجه لمقاصد المُرسِل من أجل استقامة العلاقات الإنسانية، وهذا مايريده القرآن الكريم في خطابه.

٧. الخطاب في سياق الجدال والحوار:

ينقل لنا القرآن الكريم بعض صور المحاورات والمجادلات للوقوف على الحق، وقنَّن سنن الحوار والجدال؛ لدفع الشبهات والجدال هو ((فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج منه، وفي ذلك دلالة على حسن المجادلة))[٦٧]، وفي المرأة وردت آية أوضحت أن امرأة جاءت لجدال رسول الله ﷺ إلا أنه صلوات الله عليه لم يجادلها، بل حاورها؛ لأنها مسلمة فقال العزيز الكريم: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ ... ﴾ [سورة المجادلة: ١]. والجدال بعض الحوار وفيها دقيق عبارة، وكأنه يقول إن الرسول ﷺ، سيطر بأخلاقه الحميدة على هذه المرأة بمحاورته إياها.

ومحاولة لإظهار ما خص القرآن به المرأة، وما أراد تعطيله المغرضون

(٦٧) تفسير التبيان: ٨/ ٢١٤.

بإدخال مفاهيم غريبة، أو إرجاع الجاهلية الأولى، وبذلك تعطيل مسيرة المجتمع، إذ لا يمكن لأي مجتمع أن يتقدم إلا بتحرير نصف طاقته المعطلة، التي قيدت بأعراف وقيود ليست من الإسلام بشيء، ولا ينكر أحد أن للمرأة دوراً فاعلاً في الأسرة والمجتمع، من أجل هذا أولاها القرآن أهمية كبيرة، ومن خلال آياته المباركة، نحاول استقصاءها في ضوء اللغة، فقد أصبحت قضية المرأة في ظل التحولات العالمية الجديدة مهمة إذ حرمت المرأة حقوقها وانسانيتها تحت مسمى القوانين الوضعية؛ التي أمنت بعض حقوقها وهتكت بعضها الآخر، وعليه لايمكن الاطمئنان إلى أي تغير إيجابي؛ لأن الواقع المعاش انما هو انعكاس لتطور قوة فاعلة داخل المجتمع، وربما يؤدي ذلك الى عدم التوازن، لذا أصبح من الواجب البحث عن الأساليب القرآنية والثوابت الدينية؛ التي إن فهمت على وجه صحيح ضمنت التوافق المجتمعي المرجو في عصرنا الحاضر، فهناك وظائف نيطت بالمرأة لا يمكن للرجل القيام بها كالأمومة والرضاعة والحضانة، وهناك من الاعمال ما لا تستطيع المرأة القيام به؛ فكان حصة للرجال كالقيمومة والإنفاق والحصانة، فكلٌ مكملٌ لبعضه وذلك من أجل ديمومة الحياة، ومنهج القرآن الكريم في ذكر الأحكام تفصيل ما يتغير وإجمال مالا يتغير، ويمكن التحقق من الموقف المبدئي للإسلام بالنسبة للمرأة في ظلال إلقاء نظرة كلية وشاملة على الآيات التي تخصها، ومعرفة الإشكالية في عدم تطبيقها وفهم طرق التعامل بها وتأكيد الحق الذي يجب أن تتمتع به المرأة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- اساسيات علم اللغة، د. كلورياج، بوردن وْآخرون، تح: د. محي الدين حميدي، بيروت، دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٨.
- الاسلوب والاسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم، د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي الرياض -

المملكة العربية السعودية، ط١ ١٩٩٩م.
- البلاغة العربية، قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار نوبار للطباعة القاهرة، ط١ ١٩٩٧م.
- بنية الخطاب النقدي، عبد الله ابراهيم، اطروحة ماجستير في الجزائر ٢٠١٢.
- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ت ٤٦٠، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١ رمضان المبارك ١٤٠٩ مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.
- تاج العروس، الزبيدي، ت ١٢٠٥، تح: علي شبري، سنة الطبع: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الفكر- بيروت.
- تأسيس اللسان في خطاب الراوي- الرائي -النبوة، د. بيان البكري، دار نينوى، سوريا، ٢٠٠٧م.
- التحقيق في كلمات القرآن، نويسندة حسن مصطفوي، ناشر بنكاه ترجمة ونشر كتاب رايان، سال انتشار ١٣٦٠هـ ش.
- تحليل الخطاب، ج.ب -براون، بولو.ج، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزلنطي، مثير التركي، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م.
- تحليل الخطاب وإشكالية نقل المفاهيم، رواية مقترحة، مجلة النهضة، مج٦، ع٤، ٢٠٠٥م .
- التحليل اللغوي للنص مدخل الى المفاهيم الأساسية، كلاوس بوتكير، ترجمه ومهد له وعلق عليه د. سعيد حسين بحيري، مؤسسة المحتار للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، رسالة دكتوراه، د. عبد الله المطعني، الناشر: مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -عابدين -القاهرة، ط١ ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.
- الخطاب العربي المعاصر، د. محمد عابد الجابري، دار الطليعة، ١٩٨٩م.
- الخطاب القرآني دراسة معالم وإتجاهات النصوص القرآنية، أحمد محمد النمر،

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ط١، ٢٠٠٣، بيروت -لبنان.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية في الوظيفة والبنية والنمط، احمد المتوكل، الدار العربية للعلوم -ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠م .
- رسالة في التحسين والتقبيح، الشيخ جعفر السبحاني، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الامام الصادق، اعتماد، قم.
- صور من الخطاب الديني المعاصر، عبد الفتاح يوسف، منشورات الإختلاف الجزائر، ط١، ٢١٠.
- صور من الخطاب الديني المعاصر، المجلة المصرية لبحوث الاعلام، ع١، يناير ١٩٩٧ .
- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر، ط٧ ١٩٨١م.
- فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة (دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبية)، د. صباح عيدان حمود العبادي، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، العراق -البصرة، ط ١، ٢٠١٣م.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، ط١، ٢٠١٣م، منشورات الإختلاف الجزائر، منشورات ضفاف بيروت- لبنان.
- لسان العرب، ابن منظور، ط بلا سنة الطبع محرم ١٤٠٥ الناشر: نشر أدب الحوزة قم -إيران.
- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٦م.
- لغة الخطاب السياسي دراسة تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، محمود عكاشة، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ٢٠٠٢م.
- المرأة والرجل بين المقام والمهام، إعداد: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمملكة البحرين، أ.د صلاح سلطان، مقدمة إلى المؤتمر العام الواحد والعشرين تجديد الفكر الإسلامي ٨-١١ربيع الأول ١٤٣٠هـ ١٥ مارس ٢٠٠٩م،

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية.

- المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف، سلسلة الفكر العراقي الجديد.
- مستويات الخطاب الإبلاغي في كتاب المحصول في علم أصول الفقه للرازي (ت ٦٠٦هـ)، رسالة ماجستير، فراس حسن علي الكناني، كلية الآداب- جامعة البصرة، ١٤٢٨هـ.
- مستويات السرد الوصفي القرآني (دراسة أسلوبية)، د. طلال خليفة سلمان، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ط١، ٢٠١٢م.
- المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد ابن علي الفيومي، ت٧٧٠، دار الحديث، مصر، ٢٠٠٣م.
- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د. خليفة الميساوي، ط١، ٢٠١٣، منشورات الإختلاف الجزائر- منشورات ضفاف بيروت -لبنان.
- المصطلحات الاساسية في لسانيات النص -تحليل الخطاب، نعمان ابو وقرة، عالم الكتب الحديث، عمان الاردن، ٢٠٠٩م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د.محمد حسن جبل، ط٢، مكتبة الأداب، القاهرة، ٢٠١٢م .
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية- مصر -مطابع شركة الاعلانات الشرقية، ودار التحرير للطبع والنشر.
- معجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، استانبول، دار الدعوة، ١٩٨٩م.
- مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت ٥٠٢، ط١ ١٤٠٤، دفتر نشر الكتاب.
- مقاييس اللغة، أبو الحسنين أحمد بن فارس، ت ٣٩٥، تح: عبد السلام محمد هارون ١٤٠٤، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي.
- مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة د. عز الدين

اسماعيل، القاهرة، المكتبة الاكاديمية، ط١، ٢٠٠١م.

- منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر، عمار ساسي، عالم الكتب، بيروت، ٢٠١١.
- النسق القرآني (دراسة اسلوبية)، د. محمد ديب الجاجي، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، مؤسسة علوم القرآن جدة-المملكة العربية السعودية.
- النظام القرآني مقدمة في النهج اللفظي، عالم سبيط النيلي، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، دار المحجة البيضاء.